ملامح شخصية القاضي في بعض أغراض الشعر الأندلسي

أ. مقدم الصديق

جامعة أدرار

ملخص :

هناك بعض الشخصيات التي لم تنل حظها الوافر من الدراسة في الشعر الأندلسي كشخصية القاضي، هذا الذي تلونت صورته بأصباغ متعددة، بدت في لوحة متناسقة الأبعاد ومتعددة الأطراف. وقد ظهرت هذه الصورة في ثلاثة أغراض شعرية وهي:المدح والرثاء والهجاء؛ أما في قصيدة المدح، فعدد الشاعر الصفات الحسنة التي تميز بها بعض القضاة، كالعدل والإحسان والجود، كما مدحوا علمهم وفقههم، وظهرت هذه الشمائل أيضا في قصيدة الرثاء، بالإضافة إلى شحن تلك القصائد بالتفجع والأسى على موت القاضي، أما في قصيدة الهجاء فكانت الصورة هزلية كاريكاتورية مضحكة،خصت بعض القضاة الذين وُصفوا بالبله والطيش وقلة الفهم.

Résumé:

Il y a quelques personnalités qui n'ont pas eu leur chance dans l'étude du poème andalou telle la personnalité du cadi (du magistrat), celui dont l'image a été diversement colorée est apparue dans un tableau aux dimensions cohérentes. Cette image s'est montrée sous trois objectifs : l'élégie, la satire et l'éloge. Par contre dans la qacida (poème) de l'éloge, le poète a énuméré les bonnes qualités des magistrats comme la justice, la bienveillance et la générosité. Comme ils ont fait l'éloge de leur savoir, ces qualités sont apparues aussi dans le poème (qacida) de l'élégie, outre la charge de ces poèmes du malheur et de la tristesse sur la mort du cadi. Tandis que dans le poème satyrique, l'image était humoristique et caricaturiste, a concerné certains magistrats qui ont été qualifiés d'idiotie, de laisser aller et d'ignorance.

مقدمـــــــة :

لقد كان الشعر الأندلسي في شتى عصوره المختلفة مادة غنية، تظهر فيها صور عديدة لفئات المجتمع الأندلسي كالحاكم، والوزير، والفقيه، والصوفي، والبخيل، وأصحاب الديانات الأخرى كالنصراني، واليهودي،إلا أن هناك فئة اهتم بها الشعراء كثيراً وهم القضاة، لأنهم في كثير من الأحيان يظهرون في صورة الوزير والفقيه والصوفي، ولأن « خطة القضاء بالأندلس من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين، وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، كما كان هذا هو وضع القضاء في زمن بني أمية ومن سلك مسلكهم.»[1] ولم يكن يتقلد هذه الوظيفة أي كان، بل وضع لها العلماء شروطاً معروفة قُيِّدت في كتبٍ خاصة بهذا المجال، يقول النبهاني: « لا شرف في الدنيا بعد الخلافة من القضاء، ولأجل منيف قدره في الأقدار، ولسمو خطره في الأخطار، اشترط العلماء –في متوليه – من شروط الصحة والكمال ما تقرر في كتبهم.»[2]

ونظراً للظروف العامة التي كانت تعيشها الأندلس على جميع المستويات، فإن معظم القضاة كانوا على درجة عالية من «النزاهة والبعد عن التعصب، وكانوا يتمتعون بالصدق والأمانة والشجاعة والعدل، حتى مع الحكام الذين بيدهم مقاليد السلطة.»[3]

ومع هذا كله، فإن صورة القاضي في الشعر الأندلسي لم تأخذ وجهاً واحداً، بل كان لها حضور في ثلاثة أغراض وهي: المدح والرثاء والهجاء، ومن هنا

---

[1] أبوالعباس أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت : دار صادر، دط/1968 ج1، ص217،218.

[2] أبو الحسن النبهاني، **تاريخ قضاة الأندلس**، نشر: ليفي بروفنسال، مصر: دار الكاتب المصري، د ط، 1948، ص02.

[3] علي الغريب محمد الشناوي، **دراسات في الشعر الأندلسي**، القاهرة مكتبة الآداب، ط1، 2003، ص132 .

فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف كانت هذه الصورة في تلك الأغراض الشعرية؟ وهل استطاع فعلاً أولئك الشعراء أن يقدموا لنا ومضة متوهجة عما كان يتمتع به القضاة من مكانة في نفوس الشعب الأندلسي؟ أم أن الأمر كان مجرد رسم صورة كاريكاتورية كغيرهم من فئات المجتمع، وللإجابة عن هذه الإشكالية وجب استنطاق بعض النصوص الشعرية التي لامست الأغراض الشعرية المذكورة سابقاً .

أ – صورة القاضي في شعر المدح :

لقد ارتبط شعر المدح – على العموم – في الأندلس كثيراً بذوي النفوذ والجاه والسلطان، ومن بين هؤلاء نجد «القاضي» الذي احتل جزءاً هاماً في هذا الغرض الشعري، فالمطلع على مدائح الشعراء، يلاحظ أن هناك قصائد ومقطوعات معتبرة في مدح القاضي أبي أمية بن عصام والقضاة من آل حِمدين [1]، بالإضافة إلى مدح القاضي أبي الحسن بن القاسم، وأبي المطرف الشعبي، وأبي مروان بن حسون، وأبي حفص بن عمر السلمي، والقاضي أبي عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ،وأبي حفص صاحب الأحكام ببلنسية، وأبي الحسن بن توبة وغيرهم كثير .

فهذه القائمة التي بين أيدينا،على اتساعها تؤكد لنا جانبا مهما بالنسبة لمكانة القاضي في الأندلس، كما تُظهر تلك الصورة الناصعة التي اشترطها ابن رشيق في مدح القضاة حيث قال :« ويُمدَح القاضي بما يناسب العدل

---

[1] يُعَد الشاعر الأعمى التطيلي من أكثر الشعراء الذين مدحوا آل حمدين، فقد مدح أبا القاسم بن حمدين بخمس قصائد، ينظر : ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق : إحسان عباس، بيروت :دار الثقافة، دط/1963، ص206، 172،161،85،4، كما مدح ابن خفاجة أبا عبد الله بن حمدين بقصيدة واحدة، ينظر :ديوان ابن خفاجة، تحقيق : السيد غازي، الإسكندرية :منشأة المعارف، ط2، دت، ص228. وللأديب أبي بكر بن سوار الأشبوني قصيدة يمدح فيها قاضي الجماعة أبا عبد الله بن حمدان، ينظر : ابن بسام الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق :إحسان عباس، بيروت :دار الثقافة، دط/1978، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص817.

والإنصاف، وتقريب البعيد في الحق، وتبعيد القريب، والأخذ للضعيف من القوي، والمساواة بين الفقير والغني، وانبساط الوجه، ولين الجانب، وقِلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع والتحرج وماشاكلهما، فقد بلغ النهاية.» (1)

وأول من يستوقفنا في هذه الدراسة،هو قاضي القضاة أبو أمية بن عصام، فقد لبث في القضاء نحوا من خمس وثلاثين سنة، وكان ذا جلالة في أحكامه، خارجا عن زي القضاة وسمتهم، وأقرب إلى الرؤساء منه إلى الفقهاء (2).

إن هذا القاضي مدحه شعراء كثر، أشهرهم ابن خفاجة الأندلسي، حيث مدحه بقصائد أربع، يقول في إحداها وهي همزية (3):

يــانشْــرَ عَـرفِ الروضَـةِ الغـَّـنـاء ونسيـمَ ظـل السَّرحةِ العَيْناءِ
...عُوجا على قاضِي القُضاة غُدَية في وشْيِ زَهْر أو حِلَى أنداء
... في حيث جَرَّ المجدُ فضلَ إزارِه ومَشَى الهُوَينَىَ مِشْية الخُيَلاء
وسَــــرَى فجلَّى ليلَ كلِّ مُـلِمَّــة قَمـر العَـلاءِ وأنْجُــم الآرَاءِ
مِن منـزِل قد شبَّ مِن نـار القِرَى ما شَابَ عنه مَفْرق الظلْمَاء
لَو شئـتُ طُـلْتُ بـه الثُّـريا قاعِـدا ونَثَرتُ عِقـدَ كوَاكبِ الجوْزَاء

وصف الشاعر في هذا المقطع حال القاضي في مشيته، حيث يجر المجدُ إزارَه، ويمشي كالخيلاء مشيةَ الملوك والأمراء، لا مشيةَ القضاة، ثم يذكر منزله الذي لا يخلُ من الضيوف، لأن نار القِرى من كثرة تَوَهجِها تكاد تضيء الليلَ

(1) ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الطلائع، ط2006/1، ج2، ص116.

(2) ينظر :الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**،تحقيق :حسين يوسف خريوش، الأردن: مكتبة المنار، ط1989/1، المجلد الثاني، القسم الثالث، ص629 .

(3) ابن خفاجة، **الديوان**، ص16.

كله، إلى أن يمدح مقامَه وطولَ كعبِه في الناس، فلو أراد الشاعر أن يُطاوِل به النجومَ والكواكبَ، لفعل ذلك وهو قاعد لا قائما .

بعد هذا الوصف العام، يُفَصلُ ابن خَفاجةَ في ذِكر خِصال ممدوحه، ويُظهِرُه في صورة قاض مُهاب ذي مكانة عالية، يقول الشاعر[1]:

مُتهَـاديـا ما بيْنَ أبْطحِ شِيمـة دَمُثَتْ وهضْبَـة عِـزَّة قَعْسـاء
كَلفـا هنَـاك بغُـرَّة ميمُـونـة خُلِقتْ أسِرَّتُهـا مِنَ السَّـرَاء
لو كُنْتَ تبْصِرنِـي أدُور إزَاءَها لنظرتَ مِن شَمسٍ ومِن حربَاء
أرْسَى بـه في اللهِ طوْد سَكينَـة وعَدَالـة وامْتـدَّ حبـلُ رجَاء
خَلعَ القضاءُ علَيه خِلْعةَ سُؤدَدٍ غَنِيتْ بِشُهرَتِها عَنِ الأسْمَـاء
عبِـقَ الثَّنَاءُ ندَى الحَيَـا فكَأنَّـه ريْحانَـةٌ مطْلـولـةُ الأفْيـاء
قد رَاق بَيْن فصَاحة و صَبَاحة سمِع المُصِيخُ لهُ وعينُ الرَّائي

لقد جمع ابن خفاجة في هذه اللوحة صفاتٍ كثيرة امتاز بها قاضي القضاة، وكانت سببا في أن يحبه ويتعلق به، ومن هذه الصفات: خلق التواضع والرحمة، فهو في عزته سهل الخليقة ولين لجانب، وذو سؤدد ومكانة عالية اشتهر بها في حقل القضاء، وصاحب بشاشة مع الناس، وفصاحة في الكلام، ووجه صبوح، لا عبوسا ولا قمطريرا، بالإضافة إلى السكينة والعدالة،وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي جعلته مُقدما على غيره في حقل القضاء.

ويتضح لنا من خلال استقراء القصائد الأخرى لابن خفاجة في مدح القاضي أبي أمية بن عصام، أنها تدور في المعاني نفسها التي جاءت في هذه القصيدة، بل «يلاحَظ أن باقي الذين مدحوا القاضي ابن عصام، قد ساروا في نفس الاتجاه الذي سلكه ابن خفاجة.»[2]

---

[1] المصدر السابق، ص17.

[2] محمد الشناوي، **دراسات في الشعر الأندلسي**، ص156.

ومن الشعراء من راح يمدح بعض القضاة بذكر علمهم وفقههم، وتبحرهم في علم الشريعة، متجاوزين بذلك الأمور المحسوسة . وقد كان القضاة من آل حِمْدين، أكثر المذكورين في هذا الجانب، فهذا الشاعر أبو حاتم الحِجاري – مثلا – يمدح أبا عبد الله بن حِمدين بثلاث قصائد، يقول في إحداها وهي لامية:[1]

هجَرتُ جَنَابَ قُرطُبـة ولَكـنْ جعَلْتُ إلى ابن حِمْدينٍ قُفُولي
فَقيهُ دِيـــانَةٍ وسِـــراجُ دُنيَـــا عليـــــمٌ بِالفُـرُوع وبِالأُصُولِ
أَلآنَ المُشكلاتِ ورَاضَ مِنهَا فرَدَّ حَزُونَـــها مِثـــل السُّهُول
أبَا عبـــدِ الإلَـهِ إلَيْكَ مِنِّـــي جوَانـــحُ جانِحَاتٍ لِلْوُصـــولِ

ولقد كانت صورةُ بعض القضاة عند بعض الشعراء صورةً مبالغاً فيها، لكنها جاءت بذوق أدبي رفيع، مليئة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات، التي زادت الصورةَ جمالاً وفنية، يقول أبو بكر بن بقي، مادحاً القاضي أبا القاسم بن حِمدين[2]:

حمِدتُ السُّرَى عِندَ الصَّبَاحِ بِماجدٍ هوَ المَاء يُعطي رِيَّه كُلَّ حَاتِمِ
وحَسْبُكَ مِنْ قاضي الجَمَاعة أنَّـــه أمَانٌ لِمذْعورٍ ومَـــالٌ لِعـــادِم
به ثُبِّتَ الإســـلامُ فـي مُستقَـــرِّه وشُلَّ فرِيق الكُفْر شَلَّ النَّعَـائم
إذا مَشقتْ يُمنَـاه في بطْنِ مُهرَق تَحجَّب نوَّارُ الرُّبَى في الكَمَائم

نلاحظ في هذه الأبيات عنصر التكثيف وإثقال شخصية الممدوح بنعوت كثيرة ؛ حيث شبه الشاعرُ القاضِي بالماء الذي يعطي رِيَّه كلَّ ظمآن، ويراه– أيضاً– أمان المذعور، وأمل المعدوم من المال، وبهذا القاضي اندَحَر الكفارُ عن بلاد المسلمين واستقر فيها الإسلام، فكل هذه المحاسن ذُكِرت على سبيل

(1) ابن بسام، **الذخيرة**، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص659.
(2) المصدر السابق، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص627.

المبالغة لأنها جاءت بصيغة العموم،والمبالغةُ أَوْضحُ في البيت الذي صَوَّر فيه يمينَه وهي تنشر مكارمَه في بطن الصحراء، فتحجب بها أزهار الرُّبَى في كمائمها.

ومثل هذه الصورة موجودة عند الشاعر الأعمى التُّطيلي، في قصيدته القافية التي مدح بها القاضي أبا القاسم بن حمدين، إذ نجده يرفع مجدَ ممدوحه ويضعُه فوق السَّبع الطِّباق. [1]

ولقد اهتم بعض الشعراء بذكر نسب القاضي والثناء عليه، والإشادة بأمجاده وأمجاد أسلافه التليد،لاسيما في جانب الجود؛ حيث ينفي وجود من هو أجود منه، وما ذلك إلا لأنه ورثه كابراً عن كابرٍ، وتتجلى هذه الصورة في مقطع من قصيدة ابن بقي السالفة الذكر حيث يقول: [2]

ورثتَ العُلا مِن تغْلبَ ابنَة وَائِـل تِلادا لَها مِنْ عهدِها المُتَقادِم
وَأَنَّى يُجَارِيكُم إِلَى المَجْـد حَاسدٌ جَهُول بِأَسْرَار العُلَا غَير عَالِم
وهذا بُجَيْرٌ وهْــوَ خَيْــرُ لِداتِــه سِوَى شِسْع نَعْل مِنكُمُ لَم يُقاوم
و يَا عجبا يُعْزَى إِلَى الجُود حَاتِم يعُود على أبنَاءِ كَعْبٍ وحَاتِـم

إن أعظم صفة يمتدحها الشعراء الأندلسيون في القضاة، هي صفة العدل الذي تستقيم به أمور الناس، فهذا الشاعر علي عبد الغني الحصري يمدح قاضي مالقة، ويشيد فيه بخصلة العدل حيث قال:[3]

جلا عدلُه إظْلامَ كُــل ظُلامــــَة وحَاطَ قنَاةَ الدِّين حِفظا مِـنَ الخَفْضِ
كفَفتَ أكُفَّ الظُّلم عَـن كُلِّ مسْلِــم عرضْنَ لِمَال مِنهُ أوْ دَمٍ أوْ عِــرْض
تَنِم بــرِيَّا جَنَّــــةِ الخُلــــدِ ريَّــــة لَئن قُطف الأزْهَار مِنْ روضِكَ الغَض
كأنَّك مِنهَا مَــــالِكٌ وهْـيَ طَيْبَــــةٌ فمَا جَمْعُ أهْلِ العِلْــمِ منـكَ بِمُنقَــضِّ

---

[1] ينظر : **الأعمى التطيلي** : الديوان، ص86.

[2] المصدر نفسه، ص628.

[3] ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص279،280

وإنْ أُنْشِدَتْ في دَارِ حُكمِكَ مِدْحَتي لقَدْ جُلِيتْ بِكْراً عَلَـــى خَـير مُقتَــضٍّ

إذن، كانت صورةُ القاضي في هذه القصيدة وضيئةً مشرقةً؛ وذلك بالعدل الذي جلا به مظالم الناس، ورفع شأن الدين، ومنع الظلم عن كل مسلم، كما صوره على أنه جنة مالقة التي تتألق في روضها الغض، وبهذا العدل –أيضا– شبَّه الشاعرُ القاضي بالإمام مالك، ومدينةَ مالقة بالمدينة المنورة، ولَمَّا كانت هذه صفته، فإن جمهور العلماء لا ينفضون عنه أبدا، بل يصير مرجعا لهم في الفقه، ولهذا عبَّر الشاعرُ في الأبيات التي تلت عن حبه للقاضي وللتراب التي يمشي عليها.

وتستوقفنا – في الشعر الأندلسي – صورة أخرى من صور القاضي، وهي أن بعض الشعراء، يذكر صفات معينة للقاضي، ثم يقارنها مع صفات أخرى لشخصيات مشهورة في التاريخ،أو بأشياء من الطبيعة، لكي يثبت

بهذه المُقايَسة أفضليةَ القاضي على غيره، ومع هذا على القارئ أن يكون مُلِما بهاته الشخصيات، حتى يتذوق فنية هذه المقارنة. ولقد جسَّد هذه الطريقة الشاعرُ أبو إسحاق الإلبيري في قصيدته التي مدح بها قاضي غرناطة أبا الحسن علي بن توبة، وكان من قضاة العدل[1]، يقول أبو إسحاق: [2]

بِعَلي بــنِ تَوْبــة فَــاز قدْحِــي وسَمتْ هِمَّتي عَلى الجوْزَاء

...يحسِم الأمْرَ بالسِّياسةِ والعَدْ لِ كحَسمِ الحُسامِ لِلأَعــدَاء

لَوْ إياَس يلْقــاهُ قَــال اعْتِرافــا غلَطَ الوَاصِفون لِي بِالذَّكَاء

ولَوَ اَنَّ الدُّهَاةَ مِنْ كُلِّ عصْــر خبَرُوه دانُــوا لَــه بِالدَّهَــاء

أو رأَى أحنف– أو أَحْلــم منه– حِلمَه ما انتموا إلى الحُلَمَاء

لو رَأى المُنصِفون بَحــرَ نَـداه جَعلُوا حَاتِما مِنَ البُخَـــلاء

---

[1] ينظر : لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق : محمد عبد الله عنان، مصر :مكتبة الخانجي ط1977/1.الجزء 04، ص82

[2] أبو إسحاق الإلبيري: تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق :دار الفكر، ط1991/1، ص98،99

هوَ أوْفَى مِـنَ السَّمَوْءَلِ عَهْـدا　　　ولَمَــا زَالَ مُغرَمــا بِالوَفـاء
وحيَا المــزْن ذُو حَيـــاء إذا مَا　　　هملَتْ كَفُّه بِوَبْـل العطَـــاء
يشهَد العَالِمُون فـــي كُــلِّ فنٍّ　　　أنَّه كالشِّهَاب في العُلمَـــاء
وقضاةُ الزَّمانِ أرْض لدَيــــــهِ　　　وهْوَ مِنْ فَوقِهم كَأُفقِ السَّمَاء

إذن نلاحظ من خلال هذه الأبيات، الصورَ المكثفة وترجيح صفات القاضي على الكفة الأخرى، ووجه المقابلة فيها كان على الشكل التالي :

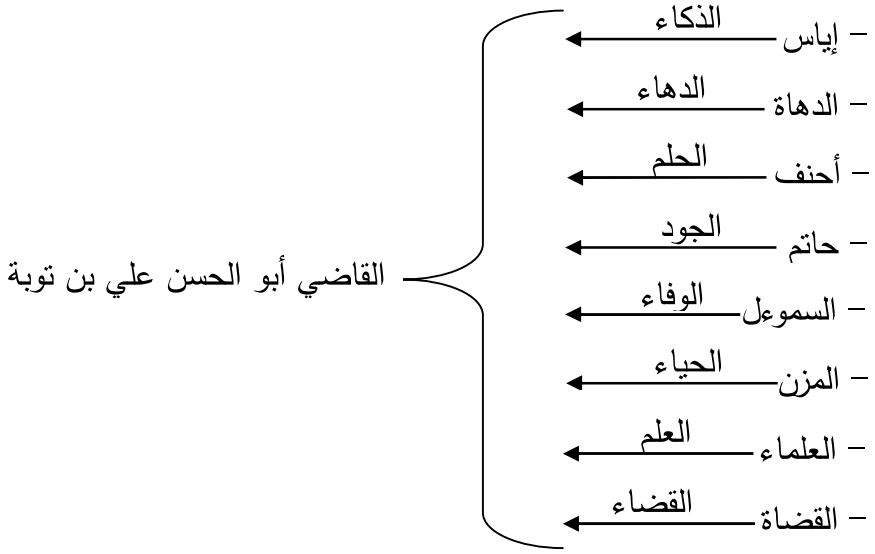

هكذا جاءت صورة القاضي في قصيدة المدح الأندلسية، واضحة المعالم ومتناولة عدله،وجوده، وحلمه، ونسبه، وعلو مجده، وغيرها من الصفات الحميدة التي جعلته مقدما بين خاصة الناس قبل عامتهم، و يحترمه الحاكم ورعيته، وكان العدلُ أساسَ هذا كله وذروةَ سنامه.

ب – صورة القاضي في شعر الرثاء :

لَمَّا كانت مكانةُ القاضي محبوبةً في نفوس الناس، لإحقاقه العدل بينهم، ولصفاته الحميدة التي تميز بها، فإن فقدانه كان مؤثرا في تلك النفوس، لذلك

وجدنا في الشعر الأندلسي من رثاه بقصائد لا تقل أهمية عن القصائد التي مُدح بها.

تبدأ قصيدة الرثاء – في الغالب – بحديث الأسى والفجيعة، وتنتهي – أيضا – بما بدأت به، حيث تصور انفعال الأسى والحزن، فالحركة في قصيدة الرثاء دائرية [1]، إذ تنتهي دائما بما بدأت به، لأن «المعاني متشابهة، بحيث لو أُسقط جزءٌ من هذه الحلقة، لما فقدت القصيدةُ تماسكها، فبنيتها بنية تركيبية وتكرارية متشابهة.» [2]

ومن مظاهر الحزن والأسى، ما جاء في قصيدة أبي حاتم الحِجاري الذي تفجع فيها على القاضي ابن أدهم، حيث نجده يفتتحها بحديث الأسى وتفتت الذات حزنا على المرثي، يقول أبو حاتم[3]:

أمَّا الأسَى فعليَّ منهُ مَخَايِل	نفـــْس أُصَـعِّــدُه ودَمٌ سَائـــلُ
مِنْ ناظِرِيٍّ عليَّ أعْظمُ شَاهِدٍ	ومِنَ العُيون علَى القلوبِ دلائِلُ
في كُلِ آونةٍ إلى أُفْقِ الثَّــرَى	شمْسٌ مُغَـــوَّرَة وبَــدرٌ آفِــلُ
خفِّضْ عليكَ فَلِلحيَاةِ تقَلُّــص	هِيَ نَومَةٌ والعُمرُ طَيفٌ رَاحِــلُ

يحتفل الشاعر في هذا المقطع بإبراز مظاهر الأسى وعلاماته، من نفس تتصعد، ودمع يسيل، وحالة تعلن عن استشعار الشاعر بعِظم المصيبة، وتبدو تكرارية فعل الأسى، من خلال استقبال أفق الثرى في كل وقت، لشموس وأقمار من غُرر الرجال. وفي البيت الأخير يحاول الشاعرُ أن يخفف من وطأة الأسى، من خلال الإقرار بقانون الحياة المبني على الزوال، حيث يبدو العمرُ في ظله طيفاً راحلا.

[1] ينظر :علي الغريب محمد الشناوي، **دراسات في الشعر الأندلسي**، ص186.

[2] يسرية يحي المصري : **بنية القصيدة في شعر أبي تمام**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط،1997، ص248.

[3] ابن بسام : **الذخيرة**، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص661.

لقد كان الحديثُ عن الموت والفَناء في قصائد رثاء بعض القضاة، هو المحرك لها، حيث يتخذ منه الشاعرُ وسيلةً للوعظ والإرشاد، وتقصير أمل الناس في الدنيا، ويكون هذا كله مقدمةً للتنفيس عن المصاب الجلل إثر وفاة القاضي، يقول أبو محمد غانم بن وليد المخزومي في قصيدة يرثي بها قاضي مالقة أبا علي بن حسون [1]:

المَوتُ أعْربَ فــي أصَحِّ مسَـــاق	أنَّ المَنيَّةَ شمَّرَتْ عَن سَـاق
الموتُ يُخبِرُ عَــن مــرَراةِ كأسِــه	والكأْسُ مَلأَى لم يُدِرها سَاق
هـــلَّا تَوَاصينـا بصـــورَة حَـالِنـــا	والنَّفسُ تَرقَى في لَهاً وتَرَاق ؟
يا آمِــلَ الدنْيــا لِباقِــي عـمْـــرِه	أقْصِرْ فما أمَلٌ عليها بَــاق
حسْنــاءُ زَيٍّ بــالنُّهـــى مَـمْهـــورَةٌ	فإذا تعرَّت مُتِّعَــتْ بطَــلاق
معشوقَــة الحَركــاتِ إلَّا أنَّـــهــــَا	أفْعَى تدِبُّ لأَعشَقِ العُشَّـاق
كم أَوْدتِ الدُّنيا بِغَضٍّ شبِيبة الأوْرَاق	كالغُصـــنِ مَـــاسَ بنَاضِـر

فصورة الموت التي جاءت في هذه الأبيات، تُظهر أن المنية قد تأهبت لتأخذ ما تريد دون مقاومة، ويعلن الموتُ أن شرابَ كأسه مرٌّ، وأن لا أمل في القدرة على مواجهته، وقواه التدميرية لا تفرق بين الكهل والشاب، وهذا كله لئلا يتعلق الإنسان بالدنيا ويطول أمله في الحياة التي تخدعه بمظاهرها ومفاتنها، وهذه أمور يقينية لاشك فيها، إذ إن «النص الذي ينبع من إطلاقية الموت، ومن اكتماله الفعلي، فهو ليس نص الترقب أو التصور، بل نص اليقين، ومن هذه اليقينية يستقي رؤياه الأساسية للوجود، ولا معنى– مع هذه اليقينية – للأمل في

[1] المصدر نفسه، القسم الأول، المجلد الثاني، ص866–867.

النجاة من الموت، ولا معنى لمحاولة اكْتِنَاه رموز الحيوية والخصب في الزمن.» [1]

إن الموضوع الرئيسي الذي يطرقه الشاعر في رثاء القاضي، هو مدحه وذكر مناقبه وصفاته الحميدة التي كان يتحلى بها في حياته، إذ «ليس بين الرثاء والمدح فرق ... إلا أنه يُخلَط بالرثاء شيءٌ يدل على أن المقصود به ميت، مثل: كان، أو عدمنا به كيت وكيت، وما يُشاكل هذا ليُعلَم أنه ميت.» [2]

ولقد كان القاضي الفقيه أبو الربيع سليمان الكُلاعي،أفضل من نُظِمت فيه قصائد الرثاء، لأنه يُعد من أبرز الشهداء الذين سقطوا في المعارك التي نشبت بين المسلمين والنصارى، و كان استشهاده في موقعة < أنيشة > سنة أربعة وثلاثين وستمائة«634 هـ» [3]

وللشاعر ابن الأبَّار القُضاعي البَلنسي قصيدةٌ طويلة أبَّن فيها شيخَه الكلاعي، يقول في مقطع منها ذاكراً صفات القاضي أبي الربيع[4]:

... أخو العِزَّة القَعْساء كَهْلاً ويَافِــعاً   و أكْفاؤه ما بَيــنَ رَاضٍ و رَاغِـــم
تفــرَدَّ بِالعَلْيــــاء عِلمــاً وسُــؤددا   وحسْبُك مِنْ عَالٍ عَلى الشُّهْب عالِم
بعيــــدٌ مَـــداه لا يُشَـــقُّ غُبــارُه   إذا فَاهَ فاضَ السِّحـرُ ضَرْبـــةَ لازِم
... له منطِقٌ سَهْلُ النَّواحي قرِيبُــها   فإنْ رُمتَه ألفَــيتَ صعــبَ الشَّكائِم
وسِحرُ بَيــانٍ فـــاتَ كـــلَّ مُفَـــتوَّه   فبَات عليـــه قارِعاً سِــنَّ نَـــادم
... إمَــامــاً لدِين أوْ قِوامـــاً لِدولَـــة   تَوَلَّـــى ولـــمْ تُلحِقْه لَومَــتةُ لائِـم

[1] كمال أبو ذيب :**الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي**، مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط،1986، ص348

[2] ابن رشيق : العمدة،الجزء 02، ص127

[3] ينظر، **لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة**، الجزء 04، ص262

[4] ابن الأبار : **الديوان، قراءة وتعليق**، عبد السلام الهراس، المملكة المغريبية : مطبعة فضالة، دط، 1999، ص291،292

واضح من هذه الأبيات أن الشاعرَ اتكأ على منقبة العلم التي امتدحها كثيراً في هذا القاضي، كيف لا، وقد تخَرَّج على يديه شيوخٌ وقضاة كثر، نهلوا من علمه الفياض الذي نهض ببلاد الأندلس في عصر الموحدين نهضةً ميمونة، بالإضافة إلى أنه كان عزيزا بين الناس، ذا مكانة عالية، ومنطق واضح، وبلاغة عالية، حيث جعلته هذه الصفات، يكون الإمام المقدَّم في الناس وقاض القضاة.

ومِمَّا يتردد – أيضا – في قصيدة رثاء القاضي، إظهارُ التفجع و الأسى والحزن العميق على موت المرثي، ويكثر فيها البكاء وشكوى الزمان، لأخذه أحب الناس إلى قلب الشاعر، و نجد هذه الصورة في القصيدة السابقة حيث يقول ابن الأبَّار [1]:

كأنِّيَ للأشْجانِ فــوْق هَوَاجِـر	بِمَا عادَنِي مِنْ عادِيــاتِ هَوَاجِـمِ
عدمْتــُكَ مَفقوداً يَعــزُّ نظيــرُه	فَيا عِزَّ مَعدومٍ ويَـا هَــوْن عـادِم
وإنِّي لَمحْزونُ الفــؤادِ صَديعُــه	خِلافا لِسال قَلبــهُ مــنكَ سَالــم
وعندي إلــى لُقيَاكَ شوْقٌ مُبَــرَّح	طَواني مِنْ حَامي الجَوَى فوق جَاِحم
وفي خَلَـدِي واللهِ ثكــلُكَ خَــالِد	ألــيَّــة بــرّ لا ألِيَّــة آثــم
... فأبكي لِشِلْوٍ بِالعَراءِ كمَا بَكى	زِيادٌ لِقَبــرٍ بَيــن بُصْـرَى وجَاسم

ومن القضايا المُكمِّلة لصورة القاضي في قصيدة الرثاء، أننا نجد الشاعر يدعو للقاضي المتوفى بأحسن الدعاء وأفضله، ويتمنى له دخول الجنة بعد موته، بل راح بعضهم يجزم بدخول المرثي إلى الفردوس، كما فعل ابن الأبَّار الذي هنَّأ الكلاعي بهذا الفوز العظيم، وقد ناله – حسب رأي الشاعر– بالتقوى وحسن الخواتيم، يقول الشاعر: [2]

(1) المصدر السابق، ص293.

(2) المصدر نفسه، ص293.

فَيـا أيُّها المَخدومُ سامِي مَحَلّــُه فِدًى لكَ مِنْ ساداتنا كلُّ خادِم
ويا أيُّها المَختُومُ بالفَـوز سعيُــه ألَا إنَّمَا الأعمالُ حُسْنُ الخَواتِم
هنِيئاً لكَ الحُسنَى مِنَ الله إنَّــهــا لِكُل تقِيٍّ خِيمُهُ غَيرُ خَـــائِـم
تَبوَّأتَ جنَّاتِ النَّعيمِ ولَــمْ تــــزَلْ نَزيلَ الثُّريا قبــلَها والنَّعــائِــم
وحُمْتَ علَى الفِردَوسِ حتَّى ورَدْتَه فَفُزتَ بِأشْتاتِ المُنَى فَوزَ غَانم

ج – صورة القاضي في شعر الهجاء :

لم تكن تلك الصورة المشرقة التي رسمها بعض الشعراء تنسحب على كل قضاة الأندلس، بل وجد في تلك البلاد من كان على النقيض التام من تلك المحاسن والأوصاف التي سجلتها قصائد المدح فيهم، ولكن مثل هاته النماذج لم تكن متفشية بصورة تغطي على الصورة الحسنة، بل كانت تظهر عرضاً في بعض المدن وبعض الأزمنة ؛ فهذا عصر الإمارة –مثلا– نجد الشاعرين «الغزال ومؤمن بن سعد لا يدعان فرصة من العبث تفوتهما، وكثيرا ما تكون ضحاياهما من القضاة.»[1]

إن أشهر قاض نال قسطا كبيرا من الهجاء، هو يُخامر بن عثمان الشعباني، فقد هجاه أكثر من شاعر. وكان يحي بن حكم الغزال من أكثر الشعراء الذين سلَّطوا لسانهم على يخامر بن عثمان، ونعته بأشنع الأوصاف، وكان شعرُه فيه يمثل إحدى النماذج التي انتهجها الشعراء الأندلسيون في هَجوِ القضاة.

يقول يحي بن حكم الغزال متحاملا على القاضي يخامر ومتهكما به: [2]

فقلتُ لهُ كلَّفتَني غيرَ صَنْعَتــــي كمَا قلَّدوا فضْلَ القضاءِ يُخامِرا

---

[1] إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، عصر الطوائف والمرابطين، بيروت: دار الثقافة، ط7، دت، ص118

[2] يحي بن حكم الغزال: **الديوان**، جمعه وحققه وشرحه: محمد رضوان الداية، دمشق: دار الفكر، ط1993/1، ص50

فأصبَحَ قد حَارتْ به طُرُقُ الهَوَى يُكابِد لُجِّيا مِنَ البَحـر زاخِـرا
فقلتُ لَو اسْتَعفَيتَ مِنها فقالَ لِـي سأُفصِحُ ما قدْ كان ذاكَ مُغايِرا
فقلتُ له رأسُ الفضُـوحِ إقَامـة علَينَا كَذا مِنْ غَيرِ عِلم مُكابِرا
وخبطُكَ في دِينِ الإلَهِ علَى عمَى خبَاطةَ سكْران تَكَلـم سَـادِرا

يُقدم لنا الشاعرُ في هذه القصيدة صورةً كاريكاتيرية للقاضي المذكور سابقا، حيث جسَّده في صورة الإنسان الذي تقلد صنعة ليست له، ويُطالب بتقديم استقالته من ولاية القضاء، ثم صوَّره – في تخبطه في الدين على عمى – بالسكران الذي لا يتثبَّت في كلامه.

وفي مشهد آخر نجد الغزال يهجو يُخامر بما هو أدهى وأمر , حيث ذكر بأن هذا القاضي لا يدرك الفرق بين القرآن والشعر، ممَّا حَمَل الشاعرَ على التفكير في صفع قفاه، لكنه خشي من العواقب . ثم شكَّله في صورة مزرية مضحكة، حينما شبهه بالتيس الذي تظاهر بالأسف، فلما قال الشاعر : اذبحوه، نطق التيس وقال : إني يخامر، وهذا من أشنع الهجاء وأقبحه حين يُشبَّه الإنسان بالتيس. يقول الشاعر: [1]

لقد سمِعـتُ عجِيبا مِنْ آبِداتِ يُخامِرْ
قَرَا علَيـهِ غُـــلامٌ طَهَ وسورَةَ غَافِـرْ
فقالَ :مَنْ قَال هَذا ؟ هَذا لَعَمْرِي شَـاعِرْ
أرَدتُ صفْــعَ قَفَــاهُ فَخِفتُ صَولةَ جَائرْ
أُتِيتُ يَومــاً بِتَيــسٍ مُستَعْبِرًا مُتحَاسِـرْ
فقلتُ : قُومُوا اذْبَحوه فقَال : إنِّي يُخامِـرْ

[1] المصدر نفسه، ص51 .

ومع هذا فإننا نلحظ بأن الشاعر بالغ كثيرا في تهكمه، حين اتهم القاضي بعدم تمييزه بين القرآن والشعر، ونعتقد بأن هذه النظرة فيها مبالغة، والسبب في هذا أن يخامر «لم يكن أهلا للقضاء،ولا راجحَ الوزن، ولا حاضرَ اليقين، ولا واسع البصيرة فيه، وعامَل الناسَ بخُلق صعب، ومذهب وعر، وصلابة جاوزت المقدار؛ فتسلطت عليه الألسن، وكثرت فيه المقالة»[1]. بالإضافة إلى أن يحي بن حكم الغزال كان شاعرا «مُنتهِك الأعراض، ومُخزي الرجال»[2]، فالتقى القاضي بطباعه المذمومة، والشاعر بلسانه السليط،فجاءت هذه اللوحاتُ الشعرية مشحونة بالسخرية والسب والشتم.

وهناك مقطوعة أخرى قيلت في هذا القاضي بالغة الخطورة، وجريئة في القذف والوصف الشنيع، حيث دعا الشاعر على القاضي بأن لا يموت على دين الإسلام بسبب فضائحه في القضاء، يقول عبد الله بن الشمر[3]:

يُخامِرُ ما تَنفَكُّ تأتِـــي بفَضحَـــة دعَوتَ ابْنَ مَتَّى والمَسيحَ بنَ مَرْيَمـا
فَتُوَّب فِينَا ثـــمَّ نَـــاداكَ صَائـــحٌ فإنَّهما لَمَّا علـــى الأرضِ يُعْلَـمَـــا
قَفَاكَ قَفَا جحْش ووجْهُـــكَ مُظلِـم وعقلُكَ ما يَسْوى مِنَ البَعرِ دِرهَـــما
فلا عشْتَ مَوْدوداً ولا رُحتَ سالِماً ولا مُتَّ مفقُوداً ولا مُـــتَّ مُسلِمـــا
يُخامِرُ ما تَنفَكُّ تأتِـي بفَضحَـة دعَوتَ ابْنَ مَتَّى والمَسيحَ بنَ مَرْيَما
فَتُوَّب فِينَا ثـمَّ نَاداكَ صَائحٌ فإنَّهما لَمّـا علـى الأرضِ يُعْلَمَـا

إن هذه المقطوعة تفصح عن مدى الاستهزاء والاستخفاف بعقل يخامر، عندما أُلقِيَتْ بين سَحَاءاته التي كان ينادي بها الخصوم سحاءةٌ مكتوب عليها«يونس بن متى» و«المسيح بن مريم» وخرجت إلى يديه، فأمر أن يُدعى

---

[1] ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق : محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، دط، 1973، ص64

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] الخشني، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، 1966، ص54

له بها، فهتف الهاتف واتصل بخارج المجلس ولا مجيب، إلى أن صاح ابن الشمر : إن نزولهما من أشراط الساعة، ثم يستغل الموقف فيهجو القاضي يخامر هجاءً ساخرا ممزوجا بالدعابة، حيث شبه قفاه بقفا الجحش، ووصفه بالخفة في عقله الذي جعله لا يساوي درهما من البعر.

ويبدو أن استحضار الحيوانات في رسم صورة القضاة شاع في الشعر الأندلسي، وهذا يعطي الصورة أكثر سخرية وإضحاكا، وأشد وقعا على النفس حيث يتكئ الشاعر على الصورة الفنية،لأنها« وسيلة للتحسين والتقييم وتؤدي إلى ترغيب الملتقى في أمر من الأمور أو تنفيره منه، وتتحقق هذه الغاية عندما يربط البليغ المعاني الأصيلة التي يعالجها بمعان أخرى مماثلة لها ..... فيميل الملتقى إليها أو ينفر منها». [1]

يقول يحي بن حكم الغزال في القاضي ابن عقبة [2]:

وتحسِبُ مِنْ خبِّـه أنَّه تراهُ عنِ النَّاسِ في غُربهْ
وما ذاكَ منهُ – فلا تَأْمنو هُ – إلَّا لِتُمكِنُه الوَثْبَـهْ
رأيتُ له نَاظِرَيْ هِرَّة تَرَاءَى لهَا الفأْرُ في ثُقبَهْ

وصف الشاعرُ القاضي ابن عقبة بالمخادع الذي يبدو وكأنه عن الناس في غربة، وهو على عكس ذلك ؛ إذ يقوم بتلك الحركة ليتمكن من الوثوب. وشبه عينيه –وهو على هذه الصفة – بعيني الهرة التي تتحفز للانقضاض على الفأر الذي رأته من ثقبة . ونستنتج من هذه الصورة أن بعض الشعراء كانوا يتتبعون حركات بعض القضاة وسكناتهم، دقيقة كانت أم كبيرة، ولا يدعون الفرصة تفوتهم لوصفها وعرضها في مشهد هجاء ساخر.

---

[1] جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3،1992، ص353.

[2] ابن حيان، **المقتبس**، ص58

ولم تكن صفة الخداع وحدها التي جُسدت في تلك القصائد،وإنما نجد صورة أخرى أشد خطورة وبشاعة في حقل القضاء وهي الرشوة ؛ فهذا الشاعر ابن الزَّقَّاق البلنسي يهجو أحد قضاة بني جحاف الذي اتُّهِم بأخذ الرشا، وقد كانت سببا في جوره على الضعفاء وهي مذمة ثانية، يقول ابن الزقاق[1]:

قاضٍ يَجورُ عَلى الضَّعيفِ ورُبَّما   لقِيَ القَويَّ بمِثْلِ حِلْم الأحْنَف
لعِبَتْ بِطلعَتهِ الرُّشا لعِب الرَّشا   بِفؤاد خَفَّاق الجَوانِح مُدنَفِ

إن من المهام الرئيسية التي كان يقوم بها القاضي، حفاظه على أموال اليتامى ورعايتها لهم إلى أن يبلغوا سن التصرف فيها، والتصدي لكل من سولت له نفسه أن يطمع فيها، بالإضافة إلى حسن تدبير المساجد وتسييرها، لأن القضاة آنذاك، كانوا في الأصل فقهاء، يعرفون كل ما يتعلق بالمسجد، وعلى الرغم من هذا، فإن بعض القضاة جانبوا هذه المهام النبيلة التي كانت لزاما عليهم أن يظهروا بها، فهذا الشاعر اليَكي يقول في أحد قضاة مدينة مرسية [2]:

تَسمعْ أمير المُسلمين لِنبْأة   تَصمُّ لهَا الآذانُ في كُلِّ مَشهَد
بِمُرسيَة قاضٍ تجاوزَ حدَّهُ   وأخْطَأَ وجهَ الرُّشدِ في كُلِّ مَقصَد
يُطالِبُه الأيتَامُ في جُلِّ مَالِهِم   ويَطلُبُه في حقِّهِ كُلُّ مَسجِد
فمَا بيضَتْ كفَّاك بالعَدل لم تَزَلْ   تُسوِّدُه بالجُور كَف ابنِ أسْوَد

ويتهم ابن القطان القاضي ابن المرخَّم بالجهل في تطبيق الأحكام الشرعية، ويرى أنه ربما يحكم بعلم النجوم لا بشرع الله حيث يقول[3]:

يا ابن المُرَخّم صِرتَ فِينا قاضِيا   خَرِفَ الزَّمان تَراه أمْ جنَّ الفَلَكْ

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، **الديوان**، تحقيق: عفيفة ديراني، بيروت: دار الثقافة، دط، دت، ص37

[2] ابن سعيد: **المُغرب في حلى المَغرب**، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط3، دت، المجلد الثاني، ص270.

[3] المقري : **نفح الطيب**، ج2، ص135

إنْ كُنتَ تحكُم بالنُّجُوم فرُبَّما أمَّا بِشرْع مُحمَّد مِنْ أينَ لَكْ ؟

ومن أخطر ما قيل في بعض القضاة، أنهم أحلُّوا معاقرة المخمور، وارتكاب الزنا والفواحش،مِمَّا جعلهم يُعطِّلون الحدود ويُزيفون الأحكام، ويحللون ما حرَّم الله، يقول عبد الرحمان بن مُغاوِر الشَّاطبي على لسان القاضي ابن بَيِّش[1]:

قال ابنُ بَيِّش المَشهُورُ مَوضعُه قَوْلاً يُعابُ عليه آخِر الأبَد

الخمْرُ والزَّمرُ والفَحشاءَ أجمعُها حِلٌّ و بِلّ وتبْقَى خطَّتي بِيدي

ويقول فيه –أيضا– مُزدرِيا بأحكامه، ومُشَهرا به في تعطيله لحد الخمر، وتحليله الغناء والزنا:[2]

الحمدُ لِلهِ بَلغنَا المُنَى لا حَدَّ في الخَمرِ ولا في الغِنَا

قد حَلَّلَ القاضِي لنَا ذَا وذَا وإنْ شكَرْناهُ أحَلَّ الزِّنا

ولم يكتف بهذا فقط –في نظر الشاعر–،بل كان القاضي –أيضا– يشرب الخمر فتؤثر في عقله، فيُصدر حُكما في الصباح، ثم ينقضُه في المساء، لأنه لا يعي ما يفعل بسبب الخمر، يقول ابن مُغاوِر[3]:

لا تظُنُّوا ابنَ بَيِّش في قضَاياه يَرتَشي

إنَّمَا الشَّيخُ هَلهل فهْوَ يَصحُو ويَنْتَشِي

فتَرَى الحُكْمَ غُدْوةً وتَرَى النَّقضَ بِالعَشِي

---

[1] صفوان بن إدريس التجيبي، **زاد المسافر،أعده وعلق عليه:** عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربي دط/1980، ص81

[2] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

خاتمـــــــــة :

بعد هذه الومضة الوضيئة التي تكَشَّفنا بها صورة القاضي في الشعر الأندلسي، خلصنا إلى النتائج التالية :

1- لقد كان القاضي في بلاد الأندلس يحظى بمكانة محترمة بين الحكام وعامة الناس، جعلته ينفرد بإصدار الأحكام الشرعية دون تدخل أي شخص يمكن أن يؤثر فيه.

2- كان عنصر الفقه لدى القاضي السبب الرئيسي الذي جعل الشعراء يمدحونه بفرائد القصيد، في حين أن بعض القضاة الذين لم يكونوا فقهاء، نالوا قسطا كبيرا من السخط واللوم، و خاصة في عصر المرابطين،حيث تسلط بعض الفقهاء غير الورعين بأمور البلاد،واستبدوا بفرض المذهب المالكي، ومنع غيره من المذاهب الأخرى،وتقويض حرية التفكير.

3- تميَّز بعض القضاة بقول الشعر إلى جانب القضاء، كأبي الربيع سالم الكلاعي، حيث كان عالما بالشعر ومتذوقا له، لذلك قيل فيه أجودُ القصيد.

4- هناك مقطوعات شعرية تجاوزت هجاء القاضي وسبه وشتمه، إلى ذِكر بعض العيوب الخَلْقية؛ بل إن بعض القصائد وجدنا فيها كلاما فاحشا قيل في بعض القضاة، فضربنا عنها صَفحا ولم نقف عندها.

5- إن الأشعار التي قيلت في مدح القضاة ورثاهم، تمتاز بالجودة الفنية؛ حيث كُتِبت بأسلوب جزْل قوي، ولغة رصينة بعيدة عن الحشو والتكلف، وتشِع منها جماليةُ الصورة، وحلاوة الإيقاع.أما التي قيلت في هجاء القضاة، فتميزت بالبساطة والسطحية، والألفاظ والعبارات الباردة، والصورة الهزلية الكاريكاتورية، وفيها شيء من التكلف في وصف صورة القاضي على ذلك الشكل، الذي يطرح عدة تساؤلات حول مَن

نصَّبه، وهل هو بالفعل قاضي إذا كان يتميز بالبله وخفة العقل والطيش وعدم معرفة أمور القضاء؟

6- كانت صورة القاضي في شعر المدح والرثاء، تمتاز بالجدية، والسبك الجيد، وإبراز المواقف والشمائل الحميدة التي اتسم بها القاضي. بينما كانت هذه الصورةُ في قصيدة الهجاء مشحونةً بالعبث والسفه، وإبراز النقائص والصفات الممقوتة في القاضي.

قائمة المصادر و المراجع

- ابن الأبار : الديوان، قراءة وتعليق : عبد السلام الهراس المملكة المغريبية :مطبعة فضالة، دط/1999.
- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، بيروت :دار الثقافة، ط7/دت.
- أبو إسحاق الإلبيري:الديوان، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق :دار الفكر، ط1/1991.
- الأعمى التطيلي، الديوان، تحقيق : إحسان عباس، بيروت :دار الثقافة، دط/1963.
- ابن بسام الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق :إحسان عباس، بيروت :دار الثقافة، دط/1978.
- جابر عصفور :الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، بيروت : المركز الثقافي العربي،ط3/1992.
- أبو الحسن النبهاني : تاريخ قضاة الأندلس، نشر : ليفي بروفنسال، مصر :دار الكاتب المصري، دط/1948.
- ابن حيان القرطبي :المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق : محمود علي مكي، بيروت :دار الكتاب العربي، دط/1973.
- الخشني : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مصر :الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط/1966.
- ابن خفاجة، الديوان، تحقيق : السيد غازي، الإسكندرية :منشأة المعارف، ط2، دت.
- ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الطلائع،ط1/2006.
- ابن الزقاق البلنسي : الديوان، تحقيق : عفيفة ديراني، بيروت : دار الثقافة، دط/دت.
- ابن سعيد : المُغرب في حلى المَغرب، تحقيق : شوقي ضيف، القاهرة :دار المعارف، ط3/دت.

– صفوان بن إدريس التجيبي : زاد المسافر، أعده وعلق عليه :عبد القادر محداد، بيروت :دار الرائد العربي دط/1980.

– أبوالعباس أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، بيروت : دار صادر، دط/1968.

– علي الغريب محمد الشناوي : دراسات في الشعر الأندلسي، القاهرة :مكتبة الآداب، ط1/2003.

– الفتح بن خاقان :قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق :حسين يوسف خريوش، الأردن: مكتبة المنار، ط1/1989.

– كمال أبو ذيب :الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ,مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط/1986 .

– لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : محمد عبد الله عنان، مصر :مكتبة الخانجي ط1/1977.

– يحي بن حكم الغزال :الديوان، جمعه وحققه وشرحه :محمد رضوان الداية، دمشق :دار الفكر، ط1/1993.

– يسرية يحي المصري : بنية القصيدة في شعر أبي تمام، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط/1997.